الصراع الايديولوجي في فكر مالك بن نبي

Ideological conflict in the thought of Malik Ben Nabi

شرفاوي نورية.

جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر)، nouriacherfaoui@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/07/02 تاريخ القبول: 2024/01/31 تاريخ النشر: 2024/03/14

ملخص:

إن ما يعانيه المجتمع العربي الإسلامي من أزمات على كل المستويات رغم أنه ينتمي للدين الإسلامي الحامل لأسمى مبادئ وتعاليم الإنسانية والقيم الحضارية، يجعلنا نقف وقفة تأمل مرفوقة بحيرة أين الخلل؟ وما هي الحلول التي تعيد لمجتمعنا مكانته التي كانت عليها؟

وهنا حاول مجموعة من المفكرين الإسلاميين إعادة قراءة الفكر العربي الإسلامي للوصول إلى حلول تخرجه من هذا التخلف والضعف ليستطيع إعادة تشيّد حضارته من جديد يستعيد من خلالها سيادته وقوته في ظل الصراعات التي يعيشها العالم، من بين هؤلاء المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي، حاملا على عاتقه هذه المسؤولية محاولاً إيجاد الحلول انطلاقا من التغيير ورغبة في فهم بعض الأفكار والمفاهيم المطروحة على الساحة العالمية متجاوزا في ذلك صدمة الصراع الإيديولوجي ليصبح ناقدًا له بافكاره التي صاغها في معظم مؤلفاته تحت عنوان (مشكلة الحضارة) وأهمها الإيديولوجية وفعاليتها في العلاقات الدولية

- فما مفهوم مالك بن نبي للصراع الإيديولوجي؟
- ما موقفه منه؟ وما هي أشكال الصراع الإيديولوجي ومظاهره؟

كلمات مفتاحية: الإيديولوجيا، الصراع، المجتمع الإسلامي، الحضارة، المعركة.

Abstract:

The crises affecting the Arab-Islamic community at all levels, even though it belongs to the Islamic religion, which bears the highest principles and teachings of humanity and civilizational values, make us stand by the pause

of meditation attached to the lake Where is the imbalance? What solutions are restoring our society's place?
Here, a group of Islamic intellectuals tried to re-read Arab-Islamic thought to find solutions that would bring it out of this backwardness and vulnerability so that it could rebuild its civilization again, restoring its sovereignty and strength in the world's conflicts. One of these is the Algerian Islamic intellectual Malik bin Nabi, who bears this responsibility to try to find solutions based on change and a desire to understand some of the ideas and concepts on the world scene beyond the trauma of ideological conflict to become a critic of his ideas formulated in most of his literature under the heading "The problem of civilization" and its most important ideology and effectiveness in international relations.

- What is Malik Ben Nabi's concept of ideological conflict?
- What does he stand for? What are the forms and manifestations of ideological conflict?

Keywords: Ideology, Conflict, Islamic Society, Civilization, Battle.

---

*شرفاوي نورية

1. مقدمة:

إنّ ما يعانيه المجتمع العربي الإسلامي اليوم من شتات وتمزق وحروب أهلية وفقر، وضعف في البُنى التحتية و تبعية اقتصادية وسياسية وضعف حضاري، رغم ما يحويه الدين الإسلامي من مبادئ وقيم حضارية، جعل بعض المفكرين يبحثون عن حلول لإخراج الأمة من الضياع، رغم أنها من المفروض أن تكون خير أمة أُخرجت للناس، ومن هؤلاء المفكر الفيلسوف مالك بن نبي، حيث بذل جهدًا فكريًا في البحث عن أسباب قوة الآخر وضعف الأنا، محاولاً التغيير، مِصداقًا لقوله تعالى [إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] ورغبة منه في فهم بعض الأفكار والمفاهيم المطروحة على الساحة العالمية كالأيديولوجية وفعاليتها في العلاقات الدولية وقد ركز على الصراع الإيديولوجي، والباحث في هذا الموضوع يدرك أن مالكًا تجاوز صدمة الصراع وأصبح ناقدًا له بأفكاره التي صاغها في معظم مؤلفاته تحت عنوان

مشكلة الحضارة ، وقد انطلقنا في بحثنا هذا من إشكالية مهمة وهي: ما مفهوم مالك بن نبي للصراع الأيديولوجي؟ وما موقفه منه؟ وماهي أشكاله ووسائله؟ وقبلها ما هي دوافعه؟

انطلق مالك بن نبي من الفكر ليصل إليه، فبه ننهض وبدونه نتراجع ونُهان، لذلك كان الصراع الجديد في نظره هو صراع الأفكار، فكيف شرح ذلك؟

2. مفهوم الصراع:

1.2 الحرب التقليدية والحرب الباردة:

لقد عبّر مالك بن نبي عن الحرب الباردة بفكر الستار الحديدي التي أصبحت كما يقول إرهاصا لحرب عالمية ثالثة، إلاّ أنّ هذه الحرب لم تكن باردة في جميع المناطق، بل كثيرًا ما كنت ساخنة في كوريا والهند الصينية على سبيل المثال، إنّ الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية يحتل مقعد الصدارة على تعبير مالك بن نبي بسبب المخاطر التي يهدد بها العالم، وأنّ "هذا الصراع له نهايتان: إمّا في توقعات القوة، أي: الحرب التي لا يمكن تحاشيها، وإمّا في توقعات السلام المقصود"[1]. ونحن نقول بأنّ الحرب الباردة بالرغم ما كان لها من أثر سلبي على السلام العالمي من حين لأخر فلقد كان لها أثر إيجابي تجلى في مظهرين:

أوّلهما: أنّ كل من الخصمين كان يستعد لمواجهة الأخر، وأحرز كل منهما تقدما كبيرا في تقدم في تقنيات الأسلحة النووية وتقنيات الدعاية والتجسس للتعرف على خبايا الأخر، وكان لهذا التقدم والاستعداد للحرب مانعا دون قيامها، لأنّ كل منهما كان يعرف أنّ الحرب ستكون نهاية العالم بما فيها البلاد التي كانت تظن نفسها خارج دائرة معترك الحرب كالولايات المتحدة الأمريكية.

ثانيها: أنّ هذا التخوف من الدّمار والتوتر السائدين للخصمين من أجل اكتساب مناطق نفوذ جديدة، التي قد تكون غير متفق عليها، كان يقلص من مطامع كل منهما، ويمنعها من المغامرة بالعدوان على أيّة منطقة جديدة ذات موقع استراتيجي أو اقتصادي، ورغم هذا كلّه "فقد غامر كل منهما في بعض

[1] -مالك بن نبي، الفكرة الإفريقية الأسيوية، ص58.

المناطق، فالاتحاد السوفيتي سابقا غامر في إفريقيا (أنقولا–موزنبيق وإثيوبيا) وفي آسيا (أفغانستان–عُمان واليمن الجنوبية) وفي أمريكا اللاتينية (كوبا) "[2].

"أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد غامر في بعض المناطق الأسيوية "الفيتنام وكوريا" ومناطق من أمريكا اللاتينية، وعليه فبقي الصراع محدود في دائرة ضيقة، والنتيجة من كل ذلك هي التوازن في امتلاك القوة الأمر الذي أدى إلى تجنب حرب عالمية أخرى"[3].

2.2 أصل الايديولوجية وتطور مدلولها:

الايديولوجية مصطلح إغريقي الأصل، مركب من كلمتين: IDEO تعني "خطاب او درس"، كان "دستوت دوتراسي" هو الذي أحدث كلمة أيديولوجية في نهاية القرن الثامن عشر، وكان "يقصد الدلالة على علم الظاهرات العقلية التي ظهر له أنّ اختراعها يفرض نفسه كنتيجة حتمية لفلسفة "أولباك HOLBACH وهلفتيوس HILVETUIS المادية، وفلسفة "كوندياك CONDILLAC الحسيّة"[4].

وكان هذا نتيجة التغير الشامل لمظاهر الحياة في فرنسا بعد الثورة، "فأراد أن يطلق اسما جديدا على الفلسفة التي هيأت الثورة فلا الميتافيزيقا ولا علم النفس استطاعا أن يحللا الإحساسات والأفكار في المعهد الوطني الفرنسي"[5]. يقول عبد الله العروي: "إنّ مفهوم الأيديولوجية استوحاه "ماركس" من هيقل وطبقة لتحليل التاريخ والمجتمع والسياسة فأبدع بذلك علما جديدا، ثم تبنّاه "فرويد" وطوّر به علم النفس والأخلاق، ثم أصبح بعدها القاعدة الأساسية لاجتماعيات الثقافة"[6].لقد أراد ديستوت دوتاسي لفلسفته أن تكون علمية ذات منهج ومذهب فكري واضح المعالم ليتجاوز بها مرحلة النظر لما ورائي وتلك النظريات الفلسفية المستعملة أنذاك بالمعهد الفرنسي التي لا تدل إلاّ على ما ينبغي أن يكون، ولهذا أصبحت

---

[2]–عبد الكريم غلاب، لماذا انهارت الشيوعية، ص204.

[3]– المرجع نفسه، ص205.

[4]–ق.يوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ص84.

[5]–علال الهاشمي الخياري، الإسلام والايديولوجية، الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، ص93.

[6]–عبد الله العروي، الايديولوجي العربية المعاصرة، ص15.

الأيديولوجية فلسفة علمية تستخلص قواعدها المنطقية من المعرفة الإيجابية والتنظيمية للإنسان و"تكون جديرة بقيادة الفرد وتربية الطفل وتنظيم المجتمع"[7].

إلاّ أن الفلسفة العلمية الجديدة التي أصبحت مذهبا فكريا له أنصار ومعارضون لقيت في مسارها بعض الاخطار والتناقضات، كان يصعب تجنبها نظرا لاختلاف الأنصار أنفسهم في التناول العام لمختلف العلوم، فمنهم من كان يعتمد على الفكر وحده في تحليل الشؤون الاجتماعية والكونية، ومنهم من زاد على ذلك التجربة لمسايرة تطور الفكر الغربي، ولعل هذا هو السبب في اضطراب مواقف أيديولوجية، حيث توقف سيرها العادي وتقلص لأسباب عدة منها:

– انتصار الحركات السياسية والدينية المناوئة لها، وتضييق "نابليون" الخناق على هذه الفلسفة.

– ظهور مدارس جديدة في ظل التقدم العلمي، وانتشار الحركات الصناعية الضخمة الأمر الذي أدّى "إلى تغيير كبير في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية"[8].

نتيجة لهذا ظهرت الأيديولوجية الماركسية الاشتراكية كمذهب مادي جدلي "يتصدى بالنقد لمناهج الأيديولوجيات التي سبقتها والتي عاصرتها"[9]. من هنا نطرح سؤالا موضوعيا على أنفسنا: ما هو تأويل الفهم الماركسي لكلمة أيديولوجية؟

إنّ الأيديولوجية في نظر الماركسيين: "نظام أفكار ومعتقدات تخص وسطا اجتماعيا أو فترة معينة وفي أوسع معانيهما كل نظام للأفكار التي تحاول تفسير الكون والحياة"[10].

تتجلى الأيديولوجية في الفن والقانون والنشاط الاقتصادي في جميع تظاهرات الحياة الفردية والجماعية، إذّ لابد لكل مجتمع طريق يحدده في صنع تاريخه وهذا الطريق إنّما بمفهوميته أو ايديولوجيته، أو عقيدته وتصوره للوجود ولأهداف الوجود. ولكن هل الأيديولوجية هي المفهومية بتعبيرنا العربي؟

7– علال الهاشمي الخياري، الإسلام وايديولوجيات الفكر المعاصر، ص94.

8– المرجع نفسه، ص96.

9– ف.يوريكو، روبورون المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ص86.

10– علال الهاشمي الخياري، الإسلام وايديولوجيات الفكر المعاصر، ص98/95.

يعرف مالك بن نبي المفهومية على "أنّها النشيد الذي يقود عمل الشعب بأسره، فهي الصوت المادي الذي يضبط إيقاع مجهود الأمة...فهذا النشيد لا يمكن إلا أن ينبعث من روح الشعب ذاتها، من تقاليده، من تاريخه ومن كل ما يجعل عمله أو نضاله مقدسًا في ناظريه"[11]، فالأيديولوجية أيضا هي مجموعة أفكار متأصلة في النفوس، راسخة متماسكة في ذاتها، دافعة لحركة اجتماعية، راسمة لسبيل مبين، فالمفهومية هي المسيرة للطاقات والأسهم التي ترشد الجماعة في طريقها للتاريخ.

يبدي مالك بن نبي تفاؤله العميق لإمكانات الشعب الجزائري من خلال تبيانه لوظيفة الأيديولوجية في التاريخ إذ يقول: "فهناك نشيد يرتفع في أعماق روح الشعب الجزائري وهو الذي سيزن وقع خطواتنا على دروب التاريخ"[12]. هناك فرق بين الدين كعقيدة والأيديولوجية الدينية، بين الإسلام والايديولوجيا الإسلامية، فالدين كمجموعة من التعاليم التي وردت في المصادر الدينية المعتمدة والتي تتعلق بعلاقة العبد بربّه وبنفسه وبالأخرين، وبين الأيديولوجية الدينية التي هي "فهم الناس وتصوراتهم في كل عصر من العصور لأحكام الدين ومبادئه وتعاليمه وقواعده"[13].

يشهد العالم الإنساني اليوم وأكثر من أي وقت مضى صراع ايديولوجيات أدى إلى زعزعت الكثيرين من الأفكار وأعاد ترتيب الكثير من القيم الحضارية وتعود الأسباب في ذلك إلى:

أ- **العامل الاستعماري**: يرى العلامة مالك بن نبي أنّ "الفرد بصفته عاملاً أوليًا للحضارة له قيمتان الأولى منها خام والأخرى صناعية، أو الأولى طبيعية والثانية اجتماعية، حيث تتمثل الأولى في الاستعدادات الفطرية لدى الفرد في استعمال عبقريته وترابه ووقته، أمّا الثانية فهي صناعية يكتسبها من الوسط الاجتماعي الذي يعيش، وتتمثل أساسًا في الوسائل التي يتعلمها الفرد في مجتمعه لبناء وترقية شخصيته وتنمية مواهبه"[14]، وقد حاول مفكرنا تطبيق ذلك على المجتمع الجزائري وكيف أبهر فرنسا بعبقريته ي التي اعترف بها الجنرال بيجو ولهذا "وضع خطة

---

[11]-مالك بن نبي، آفاق جزائرية، الطبعة الأولى، ص161.

[12]-نفس المرجع.

[13]- دافور فرحات، الإسلام والسياسة، عند التحوّلات الاجتماعية والإيديولجية الإسلامية، ص155.

[14]-مالك بن نبي، شروط النهضة، 1986م، ص145.

لاستقرار الاستعمار، تتمثل في سياسة الاستيطان، حيث كان يريد معمّرين يساوي بهم قيمة الشعب الجزائري، وبعد الهزيمة التي منيت بها فرنسا (1871م) أحسّت أنها فقدت هيبتها أمام الشعوب المستعمرة، ، بدأت سياستها التدميرية للشخصية الجزائرية، من خلال الحط من مستوى وعيها وعبقريتها والتنقيص من قيمتها الإيجابية "وتأثير ذلك على الفرد من صغره وهو طفل، حيث لا يمده المجتمع بما يقوي جسده وينمي فكره أو يهيئ له مدرسة أو توجه"[15]، لذلك منع الاستعمار اللغة العربية من المدارس وحرّم على الجزائريين التعليم حتى باللغة الفرنسية إلاّ الفئة القليلة وهو بالتالي يقيّد الفرد ويسلبه حرّيته ويجعله عبدًا و"تنشر من حوله الأفكار المحطمة لقيمته والمعرقلة لمصالحه، فيحاط بشبكة محكمة ينسجها خبث المستعمرة الداهية"[16]، والنتيجة الحتمية لذلك هي "أنه في حالته هذه لا سبيل له لأن يقوم بأعماله إلاّ بالقدر الذي يقدره الاستعمار له، فهو يعيش كأنه يدًا خفية وتارة مرئية، تشتت معالم طريقه، وتقضي باستمرار على العلاقات التي تحدّد هدفه فلا يدركه"[17]، والواجب على الفرد في هذه الحالة أن يطالب بحقوقه مع أداء واجبه "لأنّ التاريخ أثبت أنّ الشعوب التي تكلمت عن حقوقها التي هضمها المستعمر قد غفلت واجباتها، فزاد ذلك في المأساة البشرية، وتكلم آخرون باسم الواجبات كغاندي فاسترجع حقوقه كاملة"[18].

وهنا لا نخصص الحديث عن استعمار بعينه تجاه بلد محدّد ولكن هو متعلق بعلاقات الحضارة الغربية بالإنسانية منذ قرون فالإمبراطورية الرومانية المعروفة بطابعها الاستعماري أثرت في الحضارة الغربية وغرست فيها روح الاستعمار "غير أن المدينة الحاضرة تخطت الحضارة الإسلامية التي تحمل رسالة الإنسانية لتأخذ من الحضارة الرومانية روحها الاستعمارية والمعمرون أنفسهم يعترفون بذلك من حيث لا يشعرون، إذ نسمعهم صباحًا مساءًا يردون أعمالهم إلى عبقرية الرومان"[19].

---

[15]-مالك بن نبي، شروط النهضة، 1986م، ص 146.

[16]-نفس المصدر، ص147.

[17]-نفسه، ص147.

[18]-نفس المصدر، ص148.

[19]-نفسه، ص149.

شكّل الدين الإسلامي العدّو الأكبر للاستعمار فهذا الأخير يدرك أن الإسلام الحنيف قد سطر الحقوق والواجبات وغرس فيهم القيم الإنسانية التي تراعي الرحمة والحق والعدل والاحترام، وتربية النفس على الإحساس بالعزة والكرامة وهذا ما جعل الاستعمار يشعر بالخطر فكان أوّل ما قام به هو منعه تعليم اللغة العربية بصفتها لغة القرآن ودعم تجهيل الشعوب المستعمرة بكل ما أوتي من قوة، فمثلاً الجزائر ضيق الخناق على جمعية العلماء المسلمين باعتبارها جمعية إصلاحية دينية تربوية وأغلق الجمعية ومنع المجلات الخاصة بها، وزجّ بقاداتها في السجون والإقامات الجبرية وفي المقابل شجع الصوفية الطُرقية وكما قال شيخنا الناقد الدكتور عبد المالك مرتاض أقنَعوهم بالتّبرك بأولياء الله الصالحين وبناء قُبب لأضرحتهم والعبادة فيها، وقالوا لهم –من ليس له وليّ فالشيطان وليّه– وارجعوهم إلى الوثنية من جديد ليبتعدوا عن التفكير في الواقع والتغيير والحرية، وجعلوهم يفكرون في الموت وكل همهم التبرك بهؤلاء الصالحين وتقديم الأضاحي للتقرب إليهم.

هو إذن مخطط تدميري بكل المقاييس دمرّ الفكر والإنسان والمجتمع لألاف السنين القادمة وهذا ما تعيشه المجتمعات المستعمرة اليوم ويدفع ضريبته المجتمع جيلاً بعد جيل، تخلف من كل المجالات، ضعف ووهن، لذلك شكّل فعلا الدين الإسلامي خطورة عليه فحاول أن يقضي عليه ولازال ولكن كلمة الله هي العليا وسينتصر الدين الإسلامي ولو كرّه المشركون "إن إحساس الاستعمار ببقاء هذا العنصر الحيوي في باطن كل مسلم، وبالدور الفعال الذي يلعبه في إبقائه للمسلم كعنصر لخلوده، هو الذي جعل الاستعمار يقف من الإسلام موقفا معاديًا"[20].

إن تفطن الشعوب المستعمرة بواقعها المرّ ووعيّها بقيمتها الجوهرية المتمثلة في عناصر الحضارة الثلاث (الإنسان والتراث والزمن) يجعلها كما قال مالك بن نبي تتصرف تصرفًا رشيدًا وهذا ما يجعلها ترى الحقائق واضحة وتدرك جيّدًا أن إرادة الإنسان فوق كل إرادة "فكما أنه للاستعمار أن يتصرف في الزمان والمكان فكذلك لا يستطيع أن يتحكم في عبقرية الإنسان"[21]، حينئذ يصبح بطش وسائل التدمير

[20]–عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، 1984م، ص6.

[21]– مالك بن نبي، شروط النهضة،1986، ص150.

الاستعمارية من بطش واستعباد واستغلال لخيراتهم ما هي إلاّ محفزات لإيقاظ هذه الشعوب من غفلتها، وبحثها عن الحلّ الكامن في الثورات والتغيير بغية العيش الكريم، وهنا يصبح يتسأل لماذا آل المسلمين إلى هذه الحالة؟ وما الذي "حول المساجد إلى كنائس والثكنات العسكرية إلى مقاهي وبارات؟ حوّل جامع "علي باشا" الذي أسّس عام (1750م) إلى دير في (1870م) بأمر من الكاردينال "الغجري"، وحوّل جامع "كتشاوة" الذي شيّد سنة (1616م) إلى كنيسة سنة (1836م)، وكذلك جامع "البشيني" وجامع "الغزال" بقسنطينة وذلك فضلاً على المساجد التي دُمرّت بأمر السلطة الاستعمارية"[22].

ب- **معامل قابلية الاستعمار**: تسبق مرحلة الاستعمار، مرحلة مهمة وأساسية هي بمثابة مرحلة جسّ النبض سماها المفكرين بمعامل قابلية الاستعمار، ما كان المستعمر ليستطيع ممارسة سيطرته وغطرسته على شعوب البلدان المستعمرة لولا القابلية الاستعمارية فهي التي تجعله مهيأً الاستعمار، أما معامل الاستعمار فمصدره خارجي يؤثر في الفرد حيث يضيق عليه الخناق في حياته الطبيعية فتكثُر حوله المشاكل خصوصًا منها الاجتماعية بُغية شحنه بالطاقات السلبية التي تغيب وعيه بقيمة ذاته وبالتالي يستطيع أن ينقص من مواهبه وعبقريته فيحوله إلى كائن مغلوب على أمره، وبالتالي يتمكن من استعباده ونهب خيراته .

أما معامل قابلية الاستعمار فهي داخلية تنبع من ذات الفرد المستعمر صاحب الأفكار الميتة، الذي يتقبل أفكار وأوامر الاستعمار والحياة التي رسمها له دون أي رد فعل "فنرى أولا هذا الرجل يقبل اسم الأهل، يوم قبل كل ما ترمي إليه المقاصد الاستعمارية من تقليل لقيمته من كل ناحية حتى من ناحية اسمه ...حتى المثقفين يفتخرون به، وتكتبونه على صفحات الجرائد والصحف"[23].

وبالتالي فإن القابلية للاستعمار كانت بمثابة الأرض الخصبة التي هيئت لزراعة الانحطاط الفكري و الثقافي فخلقت في البلاد البطالة و استغلهم ليضع ما يسمى باليد البخصة الرخيصة، فيستغلون جهدهم في الأعمال الشاقة دون رحمة و لا شفقة، هي إذن سياسة الاستعمار الوحشية، عمل على الحط من

---

[22]-عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي،1984م، ص6.

[23]-مالك بن نبي، شروط النهضة، ص153.

أخلاقهم فنشر الرذيلة بينهم و حاربوا الفضيلة، نشروا التفرقة بين أفراد المجتمع و جعلها شيعًا و قبائل رغم جهود القلة من المفكرين المصلحين مثل جمعية العلماء المسلمين، و كانت النتيجة مجتمعات فاشلة اجتماعيًا و أدبيًا، متفرقة سياسيًا و محطمة اقتصاديًا .

وهذا ما سهّل الأمر المعامل الاستعماري لممارسة سيطرته واستغلاله بكل سهولة " فكلما أراد الاستعمار أن ينشر رذيلة أو سقمًا لقي استجابة وترحيبًا من طرف الشعوب المستعمرة، وبذلك تكون العلة مزدوجة فكلما شعرنا بداء المعامل الاستعماري الذي يعتر بنا من الخارج، فإننا نرى في الوقت نفسه معاملا باطنيًا يستجيب للمعامل الخارجي ويحط من كرامتنا بأيدينا"[24].

وبالتالي الاستعمار نتيجة وليس سببا "فإنه لكي نتحرر من الاستعمار يجب أن نتحرر أولا من سببه وهو القابلية للاستعمار، وأن على المسلم أن يفكر في استخدام الوسائل المتاحة له بطريقة مؤثرة للتغلب على مشاكله"[24]، من خلال استخدام عناصر الحضارة الثلاث: الانسان، الوقت والتراث. بما يتوفر لديه من إمكانيات بشرية، فكرية ومادية (ثروات باطنية) لسّد حاجاته وبناء حضارته دون الاعتماد على الغير (الاستعمار) "إن المقياس العام في بناء الحضارة كما يرى "مالك بن نبي "هو أن الحضارة هي التي تلّد منتجاتها لا العكس"[25].

فاليوم ورغم استقلال الكثير من الشعوب لكنها بقيت قابعة تحت سيطرة الدول المستعمرة بشكل آخر إنه استعمار اقتصادي ذلّ هذه الشعوب وأفقدها سيادتها، فلا سيادة لشعب يأكل ويتداوى من وراء البحار فالعراق وليبيا وغيرهم من الدول تعرضت إلى حصار اقتصادي دام لسنوات عصف ببنيتها التحتية وأوقعها في مشاكل سياسية أدت بها في الأخير إلى الضياع والدمار، فمن المفروض عليه "أن يستثمر في المعركة حتى يجب أن تصفى مشكلة القابلية للاستعمار من نفسية أبنائه والتي تتمثل في الإقطاع أو العادات الرجعية أو في غير هذا من السلبيات التي لا تهدف سوى إلى إرجاع الوطن إلى ما كان عليه إبان الاستعمار"[26].

---

[24]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص153.

[25]-محمد عبد السلام الجفائري، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، 1984م، ص12.

[26]-عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، ص51.

إن مالكًا يركز أولاً على التخلص من القابلية للاستعمار وذلك برفضنا لاستغلاله لأنفسنا ولخيراتنا من حيث نشعر ولا نشعر هو أول انتصار الذي سيقصي ما تَلاه من أشكال الاستعمار وهو القوة القاهرة له، فما دام يُسيطر على أفكارنا، على لغتنا على اقتصادنا فلا أمل في الحرية والتحرر منه فقد قال أحد الصالحين "أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم"[27].

فالتغيير يبدأ من أنفسكم لذلك قال تعالى وهو أدرى بما صنع من بشر [لا يُغَيرُ اللهُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيّروا مَا بِأَنفُسِهم]، "فالاستعمار لا يستطيع توجه طاقتنا الاستعمارية لو لم يدرس حالتنا النفسية بعمق حيث عرف مواطن الضعف فيها واستغلها، كما سخرنا لخدمة مصالحه ومآربه، استغل جهلنا بعلمه، ونحن مازلنا ندرس الاستعمار دراسة علمية كما درسنا هو"[28].

وهنا حاول مالك بن نبي أن يعالج قضية الصراع الفكري من الناحية الأخلاقية ونسب لكل من الاستعمار والقابلية للاستعمار الصفات الخاصة بها بكل واحدة على حدى، فجعل الدهاء والمكر والخداع والنهب والشراسة من نصيب الاستعمار بينما الدناءة والسفالة والنجاسة والخبث والخيانة من نصيب القابلية للاستعمار.

3. أشكال الصراع:

يذكر التاريخ منذ القديم أن الحضارة في نشوئها وأفولها، وتطورها وتعاقبها، قامت على صراعات مختلفة، ولكن هذه الصراعات ليست دائما سلبية، فالحضارة الإسلامية مثلاً كانت في صراعتها تدعو إلى التعايش والسلام العالمين، وقد اتخذت هذه الصراعات أشكالا كان أهمها:

1.3 الصراع الثقافي:

الثقافة أساس تقدم الشعوب وبناء الحضارات، فكلما كانت متطورة في بلد ما كان هذا البلد متقدما ومتحضرًا وذا سيادة وقوة و العكس صحيح، فهي إذن معيار لتقدم الشعوب أو تخلفها، وفي بناء الحضارة وانهيارها، ولهذا السبب أولى لها مالك بن نبي لها اهتمامًا كبيرًا لما لها من صلة وثيقة وعلاقة

---

[27]-مالك بن نبي، شروط النهضة، ص154/155.

[28]-نفس المصدر، ص155.

محكمة في نهضة الشعوب وتقدمها وحضارتها خاصة عند الشعوب المختلفة كالشعوب العربية والإسلامية، فخصص لذلك دراسة له تحت عنوان (مشكلة الثقافة) درس من خلاله علاقة الثقافة بعلم النفس وعلم الاجتماع، موضحًا الصراع القائم بين الشعوب –عبر العصور والازمنة– في تحديد مفهومها، مشيرًا إلى ضرورة التعايش بين الثقافات كون الثقافة هي ثمرة الفكر الإنساني، هي ثمرة المجتمع كما قالت بذلك المدرسة الماركسية.

بينما نجد أن الرأسماليين قد انطلقوا من علاقة الثقافة بالإنسان وبالتالي فالثقافة في رأيهم فلسفة الإنسان، وقد خلص مالك بن نبي إلى أن "الثقافة هي العلاقة العضوية بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع"[29]، إذ يقول: "إن الثقافة هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة وهي: الأخلاق والجمال، والمنطق العلمي والصناعة"[30]، ولهذا السبب تفطن الاستعمار لهذا الخطر والمتمثل في الثقافة والايديولوجية، فوجدناه قد غير القوة العسكرية..."بسياسة أخطر تتمثل في إطلاق فعالية الايديولوجيا والفكر والثقافة في الصراعات الدولية"[31].

وهذا يعني أن ايديولوجية الدول الاستعمارية تحاول أن تسيطر على عقول الأفراد في العالم الثالث فكريا وثقافيا عن طريق وسائل الإعلام وفق ما يخدم مصالحها دون قوة عسكرية ودون تكاليف مادية وبشرية ضخمة، وهذا ما يعيشه العالم الثالث اليوم "فالغزو الايديولوجي يصطدم بأذهان الأفراد مستغلاً عدم انتظام العلاقة بين الفرد والمجتمع والدولة في البلدان النامية على قواعد مستقرة تضم وحدة الحقوق والحريات والواجبات بإرادة واعية"[32].

فصار من واجب أنظمة الحكم في دول العالم الثالث أن تعنى بخطر الغزو الايديولوجي الاستعماري الذي أصبح يُهدد كيانها الثقافي والفكري أكثر من أي وقت مضى، وأن تتحصن منه بالمحافظة على استقرارها السياسي عن طريق تنظيم العلاقة بين السلطة والشعب، وتوثيق الصلة بين أفراد المجتمع في ظل

---

29. –عزيز السيد جاسم، تأملات في الحضارة والاغتراب، ص102.
30. –مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص81.
31. –عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، ص31.
32. –مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص64.

الأنظمة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية التي تضمن للأفراد حرياتهم وحقوقهم وواجباتهم "إن مستقبل الكيان الحضاري الإسلامي غير ممكن في ظل أيّة محاولة ايديولوجية غير مرتبطة بالتراث الفكري والعقائدي الإسلامي"[33].

2.3 الصراع الاقتصادي:

هو من أهم أشكال الصراع بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة حيث يُعتبر الاقتصاد ركيزة مهمة وقاعدة أساسية للتنمية والتقدم، والحضارة في شكلها المادي لذلك كان الصراع الاقتصادي من أهم أشكال الصراع القائم بينهم، حيث حصر العالم الاقتصاد بين منهجين: منهج ليبيرالي –آدم سميث– ومادية –ماركس– "وكأن ليس للمشكلات الاقتصادية سوى الحلول التي يُقدمها هذا أو ذاك"[34]، وكأن العقل البشري لدى المجتمع الإسلامي و الأفرو آسيوي قد عجز عن إنتاج معرفة اقتصادية أو منهج اقتصادي آخر يتجاوز ما قبله رغم أن المعرفة الإنسانية متجدّدة ومتطورة، والنتيجة اختيار لا يراعي فيه الظروف الاجتماعية "فلم يقبل المجتمع الشرقي تحت تأثير احتياجاته الداخلية، على أن يضع نظرية اقتصادية كما حدث في المجتمع الغربي، حيث وضع الرأسمالية أو الشيوعية"[35]، وتبقى بذلك السيادة في يدّ العملة أو كما تسمى بالكتلة النقدية. وفي ذلك يقول بشير مصطفى:" لا يمكن أن نتصور حركة دون دافع عقائدي في النظام الإسلامي أو الايديولوجي في النظم الوصفية لا سيما في مجال حركة الإعمار والتنمية ...يجب أن تكون هيمنة الجانب العقائدي واضحة في المخطط أو البرنامج أو السياسة بالنسبة للمجتمع المسلم"[36].

لذلك وجدنا مالك بن نبي يُركز على دور الجانب العقائدي و الايديولوجي في نشاط وفعالية الفرد والمجتمع، "فعند بناء مسجد الرسول –صلى الله عليه وسلم– في المدينة كان الصحابة يحملون الحجر، حجرة حجرة وكان –عمار بن ياسر– يحمل على كتفيه حجرتين مرة واحدة فرآه النبي –صلى الله عليه

---

[33] –سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ص13.

[34] – مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص08.

[35] – المصدر نفسه، ص16.

[36] –مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، ص362.

وسلم- فقال له: لكل هؤلاء نصيب في الجنة وأنت لك نصيبان"[37]، الحافز العقائدي هو الذي جعل الصحابي يقوم بهذا العمل والذي سماه مالك بن نبي (الوعد الأعلى) الذي هو أقوى من أيّ حافز ايديولوجي "لِارتباطه بالحياة الأخروية فضلاً عن الحياة الدنيوية ممّ يجعل من العقيدة الإسلامية أقوى حافز على الإطلاق بين مجموعة الحوافز الايديولوجية الأخرى"[38]، لذلك كان لغياب هذا النوع من الوعي سببًا مباشرًا للاستعمار الاقتصادي الجديد على الصعيد الإنتاجي، أين فرضت على الأمة أنماطًا ووظائف إنتاجية غربية، إنتاج العنب الموجه لإنتاج الخمور في بعض البلاد الإسلامية، وهذا معناه أن هناك تلاحم وثيق بين القوة الِاقتصادية والقوة السياسية وهذا ما مميزته الثورة الصناعية وظهور الحكومات القومية مرفوقة بفنون من الحرب والدمار.

3.3 الصراع الفكري:

يرى مالك بن نبي أن من أسس الصراع الفكري فكرتين هما:

أ- فكرة مجردة: هي المستقرة والثابتة في الذهن، حيّة في ضمير الشعوب، لم تطبق بعد على أرض الواقع.

ب-فكرة متجسدة: وهي الفكرة التي تخرج إلى ميدان الحياة وتُمارس فعاليتها على أرض الواقع.

يرى مفكرنا أن الفكرة المجردة هي التي تشكل خطرًا كبيرًا على الاستعمار لأنها راسخة في أذهان الشعوب المستعمرة، لهذا يحاول الاستعمار القضاء عليها بالقوة، فالثورة الجزائرية كمثال على ذلك ومع بداية تبلور الوعي الاسلامي في الجزائر حيث حاول الاستعمار ابعاد المشايخ الإسلاميين بالقوة مثل الشيخ –بن مهنا-والشيخ –عبد القادر المجاوي- ولكن ظلت الفكرة حيّة ولم تمت لهذا حاول الاستعمار إتباع سياسة ايديولوجية وكانت لغة الدين هي السلاح الذي سدّ به منافذ الوعي ولوث ثقافتهم حتى أضحت في عيونهم ثقافة سلبية متخلفة لا تساير العصرنة.

4. وسائل وأدوات الصراع الأيديولوجي:

[37] – مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، ص362.

[38] – نفس المصدر، ص363.

وتتمثل في هجوم الاستعمار على فكرة الإصلاح، وتعديل الملكية بحملات عنيفة وأولها الهجوم على صحيفة تَحمل طابع الوطنية ولواء الجهاد ضد الاِستعمار لان الصحافة هي الوسيلة التي تُروج الفكر في الأوساط الشعبية كوسيلة إعلام، والزج بأصحابها في السجون حتى يقضي على الفكرة، وهو بذلك يُرغم المفكرين الخروج من المعركة مهزومين علمًا أن السياسة نوعان:

- سياسة تتطور تبعا لأفكار مجردة يتقبلها الضمير الجمعي لها قواعد تتحكم في سيرورتها "تحمل في طبيعتها مبدأ التعديل الذاتي الذي يفرض عليها رقابة لنفسها، معدلا بذلك حركتها واتجاهها عند الحاجة"[39]، وقد أطلق عليها مالك بن نبي السياسة المعقدة التي تقوم على العقل والأفكار السليمة فهي تراجع نتائجها دائما، لا تترك مجالاً للاِنزلاق في فواهة الأخطار، وبهذا لا يستطيع الاستعمار أن يغير من مجراها لدرجة أنها تصبح بمثابة العلم كما قال أحد الساسة.
- سياسة تقوم على أفكار مجسدة يمثلها شخص أو مجموعة من الأشخاص، ميزتها أنها عاطفية لا تدوم، سهلة الانكسار يوجهها الاستعمار كيفما شاء، ليتحكم من خلالها بالأفكار والأفراد.

فبالنسبة للبلدان غير المتطورة أو التي أصيبت بنكسات في تطورها وتقهقرت في هياكلها فإنّ "الفكرة المجردة تحل في شخص لتنشئ صورة سياسة خاصة، وبحكم شذوذها من مقاييس العقل تتثبت بفرد، تتجسد في ذاته، فتتطور وتنمو وتنظم طبقًا لمصالح الشخصية انتظامًا لتصبح معه هذه المصالح تلقائيًا، هي إذا المسوغات والدوافع والمقاييس لسياسة عاطفية"[40]،وهذا هو حال ألمانيا في عهد هتلر ،فالحرب العالمية الثانية وما أنجر عنها من دمار وخراب مسّ العالم بأسره ولا زال حتى اليوم يدفع ضريبتها الانسان من جيل إلى جيل، من خلال قنابلها النووية (هيروشيما) وتقسيم الدول الى كتل والصراع بينهم، القائم على النهب والنصب الاستبداد وكراهية الانسان لأخيه الانسان رغم كل ما وصل اليه من علم وحضارة وسبب هذا راجع في نظر مالك بن نبي إلى الأفكار الاستعمارية وقد قسمها إلى قسمين:

39- ينظر: مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص24.

40- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، طبعة1، 1992م، ص146.

أ-الأفكار الميتة: هي تلك الأفكار القديمة التي تحتفظ بها المجتمعات الخاملة الجامدة، المنغلقة على نفسها، لا تنفتح على أفكار و ثقافات و حضارات الأمم و الشعوب الأخرى حاملة شعار الأصالة، أعطت لأفكارها طابع الاقدمية حيث كل تفتح على أفكار و ثقافات غربية يعّد في نظرهم خروج عن لأصل و العرف و الذوبان في الثقافات الغربية التي تمثل ثقافة الاستعمار لدرجة أنّ "الأصليون أصبحوا يخشون الأفكار الغربية و يعتبرنها عدوى و لهذا يواجهونها بالتمسك بالأفكار البالية الجامدة الميتة، و لا يسايرون الركب الحضاري، و بهذا يحكمون على أنفسهم بالتأخر و التقهقر في الظلام بدل التقدم و الازدهار"[41].

وهذا ما حاول الاستعمار الفرنسي مثلًا أن يغرسه في ذهن الجزائريين إبان فترة الاستعمار ففكرة الصوفية والتمسك بالأفكار الزاهدة القديمة والتفكير في الموت والإعراض عن الحياة وعدم مواكبة التطور بكل أشكاله إلا أفكار ميتة لجعلهم يتمسكون بالسلفية الصوفية المدمرة فلا يهتمون بالحرية ولا الحياة فقتلت فيهم روح التفاؤل والأمل في الحياة الدنيا "بالنسبة لهؤلاء الناس الذين يبدون الاهتمام بالأصولية في عالمنا الثقافي ينبغي أن نسد منافذهم لنحمّي أنفسنا من العدوى وعلينا أن نراقب في نظرهم، لا بد أن نحسب تنفسنا الفكري أو نضع في النهاية على أذهاننا أقنعة واقعية لكي نتجنب أي عدوى محتملة"[42].

ومن هنا أدرك مالك بن نبي أن المرحلة التي يمر بها المجتمع الإسلامي مرحلة مرضية، تحتاج إلى دراسة، هذا المرض الوراثي الذي انتقل عبر الأجيال عن طريق نوع من الأفكار، لذلك فإن الطريق إلى النهضة يقتضي بالضرورة التخلص من هذه الأفكار حتى يأخذ لعالم الإسلامي مكانه اللائق في التاريخ ويبني حضارته من جديد.

ب-الأفكار المميتة (القاتلة) هي نفايات الحضارة الغربية كما سماها مالك بن نبي نستردها نحن ف"الأفكار الميتة هي التي تجلب الأفكار المميتة إلينا وهذا ليرد أساسا على الأشخاص الذين

[41] -ينظر: مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، جوان1994م، الجزائر، ص323.

[42] - ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص146.

يحملون أفكار عصر ما بعد الموحدين التي تمتص الأفكار المميتة في الثقافة الغربية، ليس لها ايّ معقول في بناء الحضارات"[43]، وعليه فإن هذه الأفكار القاتلة ما هي إلا افرازات هذه الحضارة الغربية ولكن ليست كل الثقافة الغربية مميتة، بل لها أفكار ساهمت في بناء المجتمع، فالخيار موجود وما على العالم الاسلامي إلّا التدقيق أثناء الأخذ منها لذلك وجدناه يلوم مجتمع ما بعد الموحدين لأنه أخذ نفايات الثقافة الغربية وترك لصالح الحيّ وهنا تمتزج هذه النفايات الممثلة للأفكار المميتة المستوردة من الغرب مع الأفكار الميتة الموجودة في ثقافة عصر ما بعد الموحدين تكون النتيجة هي الواقع الأليم للعالم الاسلامي. فلو قارنا بين اليابان والعالم الاسلامي لوجدنا أن تقدم اليابان لا يعود إلى طبيعة الثقافة الغربية في حد ذاتها، وإنّما يعود إلى كيفية الاقتناء من هذه الثقافة، فيحكم انطلاقها من قاعدة سليمة وهي المحافظة على أفكارها الصحيحة والسليمة وعرفت كيف تأخذ من الثقافة الغربية عناصرها الصحيحة القويّة التي ساعدتها على التطور، بينما المجتمع الاسلامي بحكم أفكاره المميتة السلبية التي ورثها عن الغرب.

استغل الاستعمار حروبا باردة لمحاولته فرض استمرارية سيطرته على الشعوب المختلفة حديثة. العهد بالاستقلال، وقد تجلى هذا الصراع في محاربة الاستعمار لكل الأفكار الثورية وتمثلت عملية افتراس الأفكار بطرق مختلفة، فقد توسعت خطة الاستعمار بحسب توسع نشأة الأفكار في العالم المتخلف، وكان هذا عن طريق تلويث ثقافة الشعوب، وتدنيسها مما يجعلها سلبية في نظر أصحابها، وهكذا تصبح هذه الدول في تبعية سياسية واقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي وهذا ما يسمى بالاستعمار الجديد، والآن وبعدما أصبحت الحرب المادية الساخنة مستبعدة فكان حتما أن تتغير وسائل الصراع فبدلاً من الأسلحة والنووي أصبحت على مستوى الأفكار، "يجب أن لا يبقى عندنا شك في ان الخصوم الذين يتنافسون على محور واشنطن وموسكو وللاستلاء على عناصر القوة سيلجؤون إلى سلاح الأفكار لأن قنابلهم الذرية أصبحت عاجزة في المستقبل على حل مشكلاتهم المعلقة"[44]، ولهذا يجب على الدول

[43]-ينظر: عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، ص51.

[44]-ينظر: مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص18.

المستعمرة أن تستوعب الأسلوب الجديد في الصراع مع الدول الاستعمارية حتى تستطيع المواجهة فتكون أفكارها مقنعة للمجتمع وفعّالة، حية في ضمائر شعوبها حتى يعجز الاستعمار القضاء عليها لخدمة مصالحه، وهنا بدأت المعركة فعلاً تزداد حرارةً حيث بدأ هجومه ضدّ فكرة الإصلاح وتعديل الملكية بحملة عنيفة، بدأها بوسائل الإعلام وعلى رأسها الصحف، حيث تم منع الصحف والزج بأصحابها في السجون مثل ما حدث لجمعية العلماء المسلمين معتقدًا أنه حبس الفكر عن الشعوب، وبالتالي يمنعهم من الجهاد و الثورة والمطالبة بالحرية وكرامة العيش، وهي نفس الفكرة التي تحدث فيها عبد الرحمن الكواكبي في كتابه المشهور طبائع الاستبداد، مؤكدًا على أن المستبد كالخفاش يصطاد المفكرين ليلاً وأكثر شيء يخشاه هو المثقف المتعلم لذلك أول ما يقوم به هو محاربة الحياة الفكرية من خلال تصفية هؤلاء العلماء والمفكرين ويقوم بذلك متخفيًا تحت ذرائع متنوعة حيث لا يظهر على مسرح الأحداث، ويحارب الوحدة بين الشعوب والهيئات الوطنية.

5. دوافع الصراع الايديولوجي:

يمكن تلخيص دوافع الصراع الايديولوجي في كلمتين "الهيمنة والتسلط" على جميع المستويات لا شك أن الغزو الفكري والثقافي هو محور الصراعات باختلافها، وتنوعها مع العلم أنه "ليس هناك غزو فكري تام بالمعنى المعروف لكلمة غزو الذي يضمن الهجوم الاكتساحي بصورة اختلاف أو تسلسل أو انتشار...تبعا لنوعية العلاقة بين الدول لمختلفة وخاصة البلدان الكبرى المتقدمة ذات المصالح الواسعة والبلدان الصغرى ذات النمو الحضاري البطيء"[45]،وبهذا يمكن القول "إن انتهاج الدول الاستعمارية لأسلوب القوة هو انتصار في المعركة وليس في الحرب لأن القوة تؤدي إلى اكتساب الأرض لا اكتساب العقل البشري، لأن "القوة الاجتماعية الواعية في البلدان المغزوة عسكريا قادرة على مواصلة القتال والكفاح بكل أساليبه مادام العقل صامدًا"[46].

[45]-عزيز السيد جاسم، تأملات في الحضارة والاغتراب، ص55.

[46]-المرجع نفسه، ص56.

يرى الدكتور زكي نجيب محمود: "أن الصراع الذي صار حول الخلافة بين علي ومعاوية يصور لنا المرحلة الأولى من مراحل العقل في تراثنا الفكري وهي مرحلة البداهة...فهو مشهد اجتمعت فيه فصاحة العرب مع شجاعتهم، كما ظهرت فيه أساليب الدهاة من ساستهم ونبتت فيه بذور أولى سياسية ومذهبية كان لها بعد ذلك أقوى الأثر في توجيه التيارات الفكرية"[47]، طُبق ذلك الاستعمار في العصر الحديث عبر خطط ضدّ كفاح الشعوب فأقدم على الحط من المستوى الايديولوجي لفكرة الكفاح الأفرو آسيوي وتشتيت تلك الوحدة بين الشعوب الإفريقية الآسيوية بخلق وحدات كفاح جزئية مكان وحدة الكفاح الشاملة، وكان من نتائجها فشل مؤتمر "باندونغ" وعقد معاهدة "كامب ديفيد" والتي على إثرها تفكك صرح العرب وانتشر العداء بينهم، والحرب العربية الإسرائيلية (1467م) وقبلها العدوان الثلاثي على مصر (1956م)، هذا على المستوى السياسي، أما على المستوى العسكري فقد قامت الدول الكبرى بإنشاء قواعد عسكرية على أراضي دول العالم الثالث، ولقد أثبت التاريخ ذلك، فحرب الخليج التي اِندلعت بِاجتياح العراق للكويت(1990م) ثم اِسقاط العراق والربيع العربي. كلها خطط تفطن لها مالك بن نبي كنتائج لهذا الصراع الايديولوجي، أما على المستوى الاقتصادي فرغم أن الدول المستعمرة غنية بالثروات والموارد البشرية إلاّ أنها من أكثر الشعوب فقرا "حيث تعمل الدول الكبرى على استغلال وامتصاص تلك الثروات بِاستعمال سياسة التحكم في أسعار المواد الأولية بصفتها الدول التي تمثل كتلة المال"[48]. فِاستثمار الدول المصنعة أموالها في العالم الثالث عن طريق القروض وإنشاء المؤسسات للتنقيب عن البترول والغاز والثروات الباطنية أو ما يسمى بالشركات متعددة الجنسيات.

يقول عبد الله شريط "إن الوطن العربي مُعرض في أكثر أجزائه لأطماع أجنبية نظرًا لما يحويه من طاقة هائلة تغوي الدول القوية بالِاستلاء عليها واِستغلالها بوجه أو بآخر، وهي اليوم تستغله بواسطة السيطرة الاقتصادية مباشرة دون أن تكون في حاجة إلى استعمال السيطرة العسكرية كما كانت تفعل في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين"[49].

---

[47]- زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص33/34.

[48]- بنظر: مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص31.

[49]-بنظر: عبد الله شريط، المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية، ص85-86.

6. خاتمة:

إن الايديولوجيات بِاختلافها وتنوعها ليست نتيجة طبيعية للتطور الفكري ولا حصيلة حضارية للتقدم التكنولوجي، بل هي مجرد فرضيات مُستنبتة من جذور عميقة من جانب، ومتولدة عن الممارسة من جانب آخر، اقتضت الظروف الزمنية والبيئوية والعوامل السياسية استغلالها وإعادة الحياة لها من جديد واستخدام معطياتها كتفسير لعبقرية الحضارة المادية الحديثة والمعاصرة، التي كان لزاما على العالم العربي والإسلامي أن يتبعها والذي أصبح المعقل الذي تهاجمه مخططات الغزو الفكري والثقافي الِاستعماري.

إن اختلاف الايديولوجيات للمفكرين أنفسهم، أدى إلى اختلاف تحديد ماهية الصراع الايديولوجي، بحيث أن كل ايديولوجية تظن نفسها أنها تصوغ نظريات نهائية كفيلة بقيادة العالم، الأمر الذي زاد في حدة الصراع.

إن الصراع الايديولوجي بين دول الشمال الاستعمارية ودول الجنوب السائرة في طريق النمو أساسه المصلحة السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية، بشكل خاص تعتمد الدول العظمى المهيمنة على وسائل وأساليب فكرية وعملية تسهل عليها عملية الغزو بمختلف أشكاله: فكري، ثقافي، سياسي واقتصادي حيث يتخذ هذا الصراع صفاتا وألوانا مختلفة يبدو لنا في ظاهره صراعًا سياسيا اقتصاديا أو علميا تكنولوجيا، ولكنه في جوهره صراع ايديولوجي يعتمد أساسًا على سلاح الأفكار. تنعكس نتائجه سلبًا على الدول السائرة في طريق النمو من خلال التبعية للدول الاستعمارية حيث تحقق أهدافها ومآربها الاستغلالية.

وفي الأخير ليس لنا إلاّ أن نوصي القارئ الكريم الذي يرغب في نهضة مجتمعه العربي الإسلامي بأن يقرأ فكر مالك بن نبي قراءة تحليلية واعية ونقدية تُنير له الطريق لمواصلة المسيرة الفكرية لهذا الرجل لا الوقوف عندها فحسب، وإنما لتقديم اسهامات أخرى انطلاقًا من هذا الفكر حتى لا ينطبق علينا قول مالك بن نبي (إننا نفكر لنقول كلامًا لا نعمل به).

5. قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.

2. مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،1988م، دار الفكر، الطبعة الثالثة، الجزائر.
3. مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1992م، دار الفكر، الطبعة الأولى، الجزائر.
4. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، 1981م، دار الفكر، دمشق.
5. مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، 1987م، دار الفكر، الطبعة الثالثة، الجزائر.
6. مالك بن نبي: الفكرة الإفريقية الأسيوية، 1993م، دار الفكر، الطبعة الثالثة، الجزائر.
7. مالك بن نبي: آفاق جزائرية، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا.
8. دافور فرحات: الإسلام والسياسة عند التحوّلات الاجتماعية والأيديولوجية الإسلامية.
9. د.بورون وف.بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: د.سليم حداد، 1986م، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الطبعة الأولى، الجزائر.
10. زكي نجيب محمود: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، بيروت، لبنان.
11. عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية، الطبعة الأولى.
12. عزيز السيد جاسم: تأملات في الحضارة والاغتراب، 1987م، دار الأندلس، الطبعة الأولى، بيروت لبنان.
13. محمد عبد السلام الجافري: مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، 1984م، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا.
14. عكاشة شايف: الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، 1984م، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر.
15. عبد الله شريط: المشكلة الإيديولوجية والقضايا المتنامية، 1981م، ديوان المطبوعات الجامعية، دار البعث، الجزائر.
16. سليمان الخطيب: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، 1981م، ديوان المطبوعات الجزائرية، دار البعث، الجزائر.
17. علال الهاشمي الخياري: الإسلام وأيديولوجيات الفكر المعاصر.